الزندقة في القرون الخمسة الأولى الهجرية وتعامل المحدّثين معها: دراسة تحليلية

إعداد

عبيد الله أفه

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠٢٢م

الزندقة في القرون الخمسة الأولى الهجرية وتعامل المحدّثين معها: دراسة تحليلية

إعداد

عبيد الله أفه

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنّة

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

فبراير ٢٠٢٢م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل حركة الزندقة التي ظهرت قبل الإسلام، والتي مسّت –فيما بعد– المجتمع الإسلامي في تراثه الحديثي. وفي هذا السياق يناقش البحث جذور الزندقة والأفكار المنسوبة إليها، وحضورها في التاريخ الإسلامي، وآثارها في التراث الحديثي للمسلمين. كما يتوخّى هذا البحث استكشاف أصل مفهوم الزندقة الذي كان مرتبطاً بالانتقادات الموجّهة للزنادقة من علماء الحديث القدامى، والوقوف على دور الزنادقة في عملية وضع الحديث في ضوء انتقادات أصحاب الحديث لهم، وبالاستناد إلى الاستشهادات بالروايات التي نقلوها عنهم، إضافة إلى كُتبهم المشبوهة التي أثارت جدلاً في أوساط علماء الحديث. إن أحد المحاور الرئيسة للبحث هو مستوى وأسلوب تناول النقاشات في المسائل العقائدية لأصحاب الحديث؛ وهو ما يكشف عن مدى آثار الزندقة في الرواية والدراية؛ حيث تشكّل المناقشةُ الموضوعية الإشكاليةَ الرئيسة للبحث فيما يتعلق بموقف الزنادقة الأكثر ارتباطاً بأنشطة وضع الحديث، وتأثيرهم في علم الجرح والتعديل، وهُويّة الأشخاص الذين يوصفون بالزندقة في كُتب الرواة التي ألّفها المحدّثون؛ وهو ما يعني، أيضاً، استعراض موقف الزندقة من وجهة نظر علوم رواية الحديث. أخيراً، جرى البحث بالطريقة التي أثيرت من قِبل علماء الحديث في مجال الدراية في علم الحديث، وعلاقة ذلك بالزندقة والزنادقة؛ حيث يستعرض هذا البحث مدى فاعلية الصراع مع الزنادقة في مرحلة تشكّل الحديث، وإلى أيّ مدى تأثرت منهجية المحدّثين في فهم الأحاديث وفقهها بأفكار الزندقة والزنادقة. اعتمد البحث أكثر المناهج لطبيعته، المنهج التحليلي على طريق دراسة أقوال المحدثين والزنادقة بعد جمع المسائل الخلافية بينهم وتثبيتها، والمنهج الاستقرائي لتتبُّع أقوال العلماء والمحدثين في بيان هذا الموضوع، وذلك عن طريق الاعتماد على المصادر الحديثية، ولا سيما مصنفات المحدثين، والمنهج المقارن لبيان الاختلافات التي وقعت بين المحدثين والزنادقة. وأخيراً قد توصّل البحث إلى عدد من النتائج، ومن أهمها إن الأسباب الرئيسية لاتّهام المحدثين بالزندقة في القرون الخمسة الأولى الهجرية، كانت مرتبطة بالمسائل العقائدية حول نقض صفات الله أو تأويلها

المنحرف، وادّعاء خلق القرآن، وتعامل مع علم الكلام. وبناءً على هذا تبيّن أن بعض هذه التبريرات كانت تستهدف بشكل مطلق فكرة الزندقة؛ لكن غالبيتها خصت الطرف الأضعف في نقاشات العقيدة ما عدا أصحاب الحديث. هذا هو الموقف الذي يمكن تفسيره من خلال التوسع الدلالي لمفهوم الزندقة. وكذلك فإن غالبية الدراسات المعاصرة في مجال تاريخ الحديث وعلومه، تشير إلى أن الزنادقة قاموا بدور بارز في عملية وضع الحديث وعدد الأحايث الموضوعة التي قيلت وضعتها الزنادقة إلى عشرات الآلاف، ومع ذلك، على العكس من القبول العام، لا يلعب الزندقة دوراً رائداً في وضع الحديث. وعلى الرغم هذا، لقد تأثر مجال الرواية والدراية في علم الحديث بشكل غير مباشر بحركة الزندقة. على وجه الخصوص، طوّر علماء الحديث منهجيات جديدة لظهور علم الجرح والتعديل وفقه الأحاديث وتأويلها.

ABSTRACT

This study aims to analyse the movement of Zandaqah that emerged in the pre-Islamic period and included the Islamic Society in terms of the heritage of Ḥadīth. In this context, the origin of Zandaqah, the ideas attributed to Zanādiqa, its entry into the history of Islam and its effects are discussed. Thus, in terms of ʿilm al-Ḥadīth, the basis of the concept of Zandaqah, which has been considered critical throughout history is revealed. Furthermore, the position of Ḥadīth culture against Zandaqah; the partake of the narrations about Zanādiqa is evaluated in the light of the criticisms of Aṣḥāb al-Ḥadīth against the Zanādiqa and the polemic books they wrote. It is one of the main focuses of the study on which plane and in what style the debates, mainly on creed, are handled by the Aṣḥāb al-Ḥadīth. However, the dialogues of the Muḥaddithūn with the Zanādiqa are analysed in terms of the effects of Zandaqah in the above-mentioned areas, in the field of Riwāyah and Dirāyah, which are the basis of ʿilm al-Ḥadīth. In particular, the discussion of the objectivity of the position of Zanādiqa, which are most associated with the activities of the Waḍʿ al-Ḥadīth, their influence on the ʿilm al-jarḥ and ta'dîl, and the identity of people who are described as Zanādiqa in the books of riwāyah written by Muḥaddithūn that constitute the main problems of the study. Thus, a perspective of the position of Zanādiqa is presented from the point of view of 'ulūm Riwāyah al-Ḥadīth. Finally, the method put forward by Muḥaddithūn in the field of Dirāyah in ʿilm al-Ḥadīth has been examined in terms of the implications of Zandaqah. In thisresearch, it is revealed that the struggle against Zanādiqa was very effective at the stage of the formation of Ḥadīth literature. This also makes it possible to understand to what extent the methodology put forward by Muḥaddithūn in understanding and interpretation of al-aḥâdīth is affected by the idea of Zandaqah. All in all, the research reveals that Zandaqah is a very important phenomenon in the history of ʿilm al-Ḥadīth and Muḥaddithūn. The research adopted some methods for its nature, the analytical method by studying the sayings of the Muḥaddithūn and Zanādiqa after collecting and confirming the controversial issues between them, and the inductive method to follow the sayings of scholars and Muḥaddithūn in explaining this topic, by relying on Ḥadīth sources, especially the compilers of the Muḥaddithūn, and the comparative approach to clarify the differences

that occurred between the Muḥaddithūn and Zanādiqa. Finally, this research reached several results, the most important of which is that the main reasons for accusing the Muḥaddithūn of Zandaqah in the first five centuries of the hijrah were related to doctrinal issues about refuting the attributes of Allah, or their perverted interpretation, the claim of creating the Qur'an, and dealing with theology. Based on this, it was found that some of these justifications were aimed at the idea of Zandaqah; But most of them singled out the weaker party in discussions of creed, except Ḥadīth scholars. This is a situation that can be explained by the semantic expansion of the concept of Zandaqah. Likewise, the majority of contemporary studies in the field of Ḥadīth history and its sciences indicate that Zanādiqa played a prominent role in the process of Waḍʿ al-Ḥadīth and the number of fabricated Ḥadīths that were said and put up by Zanādiqa to tens of thousands, however, contrary to general acceptance, Zanādiqa does not play a leading role in Waḍʿ al-Ḥadīth. Despite this, the Zandaqah movement has indirectly affected the field of Riwāyah and Dirāyah. In particular, Muḥaddithūn developed new methodologies for the emergence of the science of Jarh and Ta'dīl and the interpretation of Ḥadīth.

APPROVAL PAGE

The thesis of Ubeydullah Efe has been approved by the following:

_____
Asst. Prof. Dr. Khairil Husaini Jamil
Supervisor

_____
Assoc. Prof. Dr. Wan Mohd Azam Mohd Amin
Co-Supervisor

_____
Prof. Dr. Mohammed Abullais Shamsuddin Mohammed Yaqub
Internal Examiner

_____
Assoc. Prof. Dr. Faisal Bin Ahmad Shah
External Examiner

_____
Assoc. Prof. Dr. Mohammed Elwathig Saeed Mirghani
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Ubeydullah EFE

Signature: ……..……..…… Date: …...…….

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٢م محفوظة لـ: عبيد الله أفه

الزندقة في القرون الخمسة الأولى الهجرية وتعامل المحدّثين معها: دراسة تحليلية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: عبيد الله أفه

التوقيع:..... التاريخ: .....

إلى جدّي مصطفى أفه؛ العالم والفقيه والمفتي رحمه الله رحمةً واسعة

لقد شجّعني على طلب العلم والمعرفة؛ إذْ تفانى في خدمة الأمّة الإسلاميّة لمدة تسعين عاماً.

إلى والدي الكريم أحمد أفه

نهلتُ من مكتبته العامرة؛ حيث لا يوجد كنزٌ أثمن من العلم.

إلى والدتي العزيزة

شملني عطفها ودعاؤها.. لقد أرشدتني إلى طريق العلم.

إلى أختي الكريمة، وأخي الخطّاط مصطفى جميل أفه، وزوج أختي الأستاذ الدكتور آدم أيدين

ساندوني وشجّعوني؛ فشكراً على دعمهم المالي والمعنوي.

إلى أصدقائي وأقربائي من أهل العلم؛ أذكر منهم: محمد فرقان دوغان، وأحمد أقطاش، ودوغان دليل جولتكين، ومحمد عاكف أيدين، وأحمد صفا أفه.. لقد سلكنا طريق العلم معاً لسنوات طويلة.

إلى أساتذتي في اسطنبول.

إلى ابنتيّ الصغيرتين.

وإلى زوجتي الحبيبة

التي دعّمتني ليلاً ونهاراً، وجعلت هذا الطريق سهلاً منذ بداية رحلتي العلمية.

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله على توفيقه، ومنّه وفضله وجوده، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه ورسله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بمناسبة إنجازي لهذا البحث المتواضع؛ فإني أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان لمشرفي الأول الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور خيرئيل حسيني بن جميل -وفّقه الله ورعاه- الذي أكرمني بالإشراف على هذه الرسالة، وبذَل النفس والنفيس في تقويم اعوجاجها، وأسدى لي النصح والتشجيع؛ فلسان مقالي عاجزٌ عن شكر أستاذي، وأسأل الله أن يتولّى شكره؛ فجزاه الله عني خير الجزاء. أتقدّم، أيضاً، بخالص الشكر إلى المشرف الثاني على البحث الأستاذ المشارك الدكتور وان محمد عزام محمد أمين على إشرافه الحسن وتوجيهاته القيّمة، وإلى كل الأساتذة والعاملين بالقسم والكلية على ما يقدّمونه من خدمات ومجهودات في سبيل العلم وأهله، وأخصّ بالشكر الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا التي منحتني فرصة التسجيل في مرحلة الدكتوراه. **كما لا يفوتني أن أشكر حكومة جمهورية تركيا ووزارة التعليم التركية على ما قدّمته لي من دعم مالي ومعنوي بُغية الحصول على درجة علمية ممتازة**، وأخيراً أتقدّم بالشكر إلى كل من ساعدني بالنصح أو المال أو الدعاء للوصول إلى تحقيق بُغيتي العلمية.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... د

صفحة القبول ..... و

صفحة التصريح ..... ز

صفحة الإقرار ..... ح

الإهداء ..... ط

الشكر والتقدير ..... ي

فهرس المحتويات ..... ك

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام ١

المقدمة ١

مشكلة البحث ٢

أهميّة البحث ٣

الدراسات السابقة ٤

أسئلة البحث ١١

أهداف البحث ١١

منهج البحث ١٢

الفصل الثاني: الزندقة وظهور أفكارها وآثارها في القرون الخمسة الأولى الهجرية ١٣

المبحث الأول: مفهوم الزندقة في اللغة والتاريخ ودراسات مقارنة الأديان ١٣

المطلب الأول: تحليل كلمة الزندقة من حيث اللغة ١٣

المطلب الثاني: التطوّر التاريخي لمفهوم الزندقة والزنادقة في تاريخ الأديان ١٨

المبحث الثاني: أفكارٌ نُسِبت إلى الزندقة ٢٥
المطلب الأول: الاعتقاد بوجود إلهين: الثنويّة والزندقة..... ٢٥
المطلب الثاني: إبطان الكفر وإظهار الإيمان: النفاق والزندقة ٣٠
المطلب الثالث: الكفر المطلق: الإلحاد والزندقة..... ٣٣
المطلب الرابع: الاعتقاد بأن الزمن لن ينتهي: الدهريّة والزنادقة..... ٣٦
المطلب الخامس: تجريد العالم من الخالق: المعطّلة والزنادقة ٣٩
المطلب السادس: الإباحيّة والزنادقة..... ٤٣
المبحث الثالث: حضور الزندقة في التاريخ الإسلامي ٤٥
المطلب الأول: الاختلافات حول أصل حضور الزندقة في التاريخ
الإسلامي: الزندقة في العصر الجاهلي..... ٤٦
المطلب الثاني: الاختلافات حول أصل حضور الزندقة في عصر النبوّة ٥٠
المطلب الثالث: الزنادقة في فترة الخلفاء الراشدين..... ٥٤
المطلب الرابع: الزنادقة في العصر الأموي ٥٧
المطلب الخامس: الزنادقة في العصر العباسي ٦١
المبحث الرابع: آثار حضور الزندقة في التراث الإسلامي ٦٧
المطلب الأول: آثار مقاومة الزندقة في العلوم الإسلاميّة ٦٧
المطلب الثاني: اتّهامات الفِرق لبعضها البعض بالزندقة ٧١
المطلب الثالث: التصوّف والزنادقة..... ٧٥

الفصل الثالث: التراث الحديثي وموقفه من الزندقة ٧٩
المبحث الأول: تحقيق الروايات الواردة في الزندقة والزنادقة ٧٩
المطلب الأول: الروايات المرفوعة..... ٨٠
المطلب الثاني: تعليق على الروايات المرفوعة..... ٩٢
المطلب الثالث: الروايات الموقوفة ٩٣
المطلب الرابع: تعليق على الروايات الموقوفة ١٠٣

المبحث الثاني: شبهات اعتقادية نسبها أصحاب الحديث إلى الزندقة ١٠٤
المطلب الأول: الاعتقاد الثنويّ ١٠٥
المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للزنادقة في مسائل صفات الله عزّ وجلّ ١٠٨
المطلب الثالث: خلْق القرآن ١١٤
المطلب الرابع: ممارسة علم الكلام ١١٩
المطلب الخامس: الشكوك الاعتقادية الأخرى المنسوبة إلى الزنادقة..... ١٢١
المطلب السادس: تعليق على الشكوك الاعتقادية ١٢٥
المبحث الثالث: ردود أصحاب الحديث على الزنادقة ١٢٦
المطلب الأول: الردّ على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ١٢٧
المطلب الثاني: "خلق أفعال العباد" للبخاري..... ١٣٢
المطلب الثالث: الردّ على الجهميّة لعثمان الدّارمي ١٣٦
المطلب الرابع: كُتب السنّة وموقفها من الزندقة ١٣٩
المطلب الخامس: كُتب ذمّ الكلام وموقفها من الزندقة ١٤١
المطلب السادس: تعليق على الاتّهام بالزندقة في كُتب الردّ..... ١٤٣

الفصل الرابع: آثار مقاومة الزندقة في مجال الرواية والدراية ١٤٥
المبحث الأول: التحقيق من دور الزنادقة في عملية الوضع ١٤٥
المطلب الأول: بداية عملية الوضع وظهور الزندقة في المجتمع الإسلامي .. ١٤٦
المطلب الثاني: كيفية تعامل كُتب القدامى والدراسات المعاصرة مع الزندقة
وعملية الوضع ١٥١
المطلب الثالث: نماذج من الروايات عن الزنادقة وعملية الوضع ١٥٤
المطلب الرابع: تحليل دور الزنادقة في وضع الحديث ١٥٨
المبحث الثاني: آثار مقاومة الزندقة في مباحث الجرح والتعديل..... ١٥٩
المطلب الأول: الزنادقة ونشأة علم الجرح والتعديل ١٥٩
المطلب الثاني: تأثير الزندقة في تطوير علم الجرح والتعديل ١٦١

المبحث الثالث: كُتب علم الرواة وموقفها من الزندقة ١٦٧
المطلب الأول: الموصوفون بالزنادقة في كُتب الرواة..... ١٦٨
المطلب الثاني: رواة الحديث المتّهمون بالزندقة في كُتب الرواة ١٨١
المطلب الثالث: الزنادقة المجهولون في كُتب الرواة ١٨٨
المبحث الرابع: آثار مقاومة الزندقة في تصنيف كُتب الروايات ١٨٩
المطلب الأول: الزندقة وفترة تشكّل تصنيف الحديث..... ١٩١
المطلب الثاني: آثار الزندقة في فترة تطوّر تصنيف الحديث..... ١٩٨
المطلب الثالث: آثار الزندقة في فترة تحوّل تصنيف الحديث..... ٢٠٥
المبحث الخامس: آثار مقاومة الزندقة في فقه أحاديث العقيدة..... ٢٠٩
المطلب الأول: منهج المحدّثين في فقه أحاديث العقيدة ٢١٠
المطلب الثاني: آثار مقاومة الزندقة في فقه الأحاديث المتعلقة بصفات الله
عزّ وجلّ ٢١٤
المطلب الثالث: آثار الزندقة في فقه الروايات حول القدر..... ٢٣٠

الخاتمة..... **٢٣٦**
١. النتائج..... ٢٣٧
٢. التوصيات والمقترحات..... ٢٤٠

قائمة المصادر والمراجع..... **٢٤٢**

الفصل الأول
خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، ثم الصلاة والسلام الأتمّان الأفضلان على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد!

فإن فكرة الزندقة قديمة؛ إذْ كانت منتشرة قبل الإسلام في بيئة الفرس والهنود، وهي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا، وإنْ اختلفت شعاراتها ومسمّياتها. وعلى الرغم من الاختلافات في جذور كلمة "الزندقة"؛ فمن المعلوم أنها في الفارسية تعني "الزند"، وهي كلمة مؤوَّلة من كتاب "Avesta" (البستاه) الذي جاء به زرادشت إلى الفرس. ومع تقدّم الزمن تحوّلت كلمة "الزند" إلى "الزندي؛ حيث اقترضت العربية هذا اللفظ، وعرّبته إلى "الزنديق". وفي خضم هذه التحولات لكلمة زنديق، صار لهذه الكلمة عدة معانٍ؛ فهي تُطلق على من يؤمنون بإلهين (النور والظلمة)، أو على الملحدين الذين لا يؤمنون بالله، أو على المنافقين الذين يُسرّون الكفر ويظهرون الإسلام، أو على مؤوّلي القرآن والسنّة تأويلاً فاسداً.

وعلى أية حال، فقد كان لدخول الزندقة في المجتمع الإسلامي تأثير من جوانب عدّة؛ إذْ ظهر تأثيرها في تراث الأمة الإسلامية؛ فمسّ هذا التأثير كلاًّ من العقيدة والعلوم الإسلامية. وكان العلماء المسلمون يناظرون المتّهمين بالزندقة، ويؤلّفون الكتب للردّ عليهم.

ويكتنف الزندقة الكثير من الغموض؛ حيث لا يمكننا تحديد ماهيتها وسمات معتنقيها. وعلى الرغم من جهود العلماء في جدالاتهم على مر التاريخ؛ فهي محدودة وغير كافية للدراسات المعاصرة التي تتناول هذا الموضوع. لقد تناولت الدراسات الغربية مفهوم الزندقة تحت مسألة "الهرطقة" (Heresy)، وأكثرها يشير إلى المكانة التاريخية للزندقة في المجتمع الإسلامي، وتركّز على دورها في عملية وضع الحديث.

اهتمّ الدارسون في العالم الإسلامي بموضوع الزندقة؛ ولكن أكثر هذه الدراسات يتناول تأثير الزندقة في العقيدة الإسلامية، ويستعرض مكانتها في تاريخ المذاهب.

ومن ثم، يتّضح جليّاً –في حدود اطّلاع الباحث– أن الباحثين لم يدرسوا العلاقة بين الزندقة والمحدّثين، ومدى تأثيرها في علم الحديث، دراسةً مفصّلةً وشاملةً. ولا سيما أن الناظر في مؤلّفات المحدّثين في القرون الخمسة الأولى الهجرية، يجد أمثلة كثيرة عن استخدام لفظ "الزندقة" كلما تعلّق الأمر بمسألة خلق القرآن وعلاقته بالزنادقة،[1] أو بيان فساد الحديث،[2] أو فضل النبوّة.[3] وإن مسألة اتّهام المحدّثين لغيرهم بالزندقة يشمل أهم مسائل الاختلافات العلمية في عصورهم. وعلاوة على تأثير الزندقة في علم الحديث في مجالات الرواية والدراية؛ فإن الوقوف على هذه التأثيرات وتحليلها يؤدي إلى الفهم الصحيح لتاريخ الحديث وعلومه، ويوفّر إسهاماً متواضعاً في هذا المجال.

مشكلة البحث

يتناول هذا البحث مدى تمكين الزندقة في التاريخ الإسلامي لا سيما في التراث الحديثي، ومن ثم تحليل أثرها في علم الحديث وأصحابه في القرون الخمسة الأولى الهجرية. وتتركز إشكالية البحث في غموض فكرة الزندقة وكيفية تحديدها من وجهة نظر المحدّثين، وآثارها في علم الحديث. ولا شكّ في أننا سنجد في الدراسات المعاصرة عن الزندقة بعض الإشارات إلى هذه الفكرة؛ ولكن أكثرها عجز عن إثبات المنتسبين إلى الزندقة وتحديد اعتقاداتهم، في حين نلفي هذه الدراسات المعاصرة تعترف بأهميّة هذه القضية، وبخاصة تأثير الزندقة في العلوم الإسلامية، وهي في مجملها دراسات غربية. أما ما أنتجه العالم الإسلامي فيكاد ينحصر في مجال الاعتقاد، أو التاريخ الإسلامي، أو المذاهب الإسلامية، أو مقارنة الأديان. ولم يجد

---

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **خلق أفعال العباد**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (الرياض: دار المعارف السعودية، د.ط، د.ت)، ص٣٠.

[2] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد محي الدين الأسفر، (بيروت–الدوحة: المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٤٠٤.

[3] الخلاّل، أحمد بن محمد ، **كتاب السنّة**، (الرياض: دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٢٣٣.

الباحث مصدراً شاملاً ومتكاملاً في موضوع تعامل المحدّثين مع الزندقة. وكذا الدراسات في مجال الحديث لم تتوسّع للوقوف على دور الزندقة في عملية وضع الحديث،[٤] وإنما تناولت موضوع الزندقة بشكل حصري في إطار الاختلافات الاعتقادية بين المحدّثين والمتكلّمين فقط.[٥] علاوة على أن كُتب مصطلح الحديث أشارت إلى دور الزنادقة في وضع الحديث؛ ولكنها لم تشر إلى آثار الزندقة في مسائل دراية الحديث.[٦] وعليه، يتعامل الباحث مع الزندقة بوصفها قضيّة مهمّة في التاريخ الإسلامي. هذا وقد جادل الزنادقةُ المسلمين في ميادين السياسة والاجتماع والعلم، والأمثلة كثيرة في القرون الخمسة الأولى الهجرية عن تعامل المحدّثين مع الزندقة؛ ولكن إلى اليوم لم يُدرَس هذا الموضوع دراسة شاملة ومفصّلة.

أهميّة البحث

للزندقة مكانة مهمّة في تاريخ علوم الحديث؛ إذْ إن نشأة علوم الجرح والتعديل تزامنت، أو كانت، بسبب إسناد أقوال بعض الفِرق المبتدعة –ولا سيما الزنادقة– إلى النبي ﷺ، ليضْفوا على آرائهم مزيداً من القوة في مواجهة معارضيهم. وفي هذا السياق يعدُّ تأثير الزندقة من أهم التأثيرات التي تصدّى لها علماء المسلمين، وبخاصة في القرون الخمسة الأولى الهجرية. ومن هنا تتّضح أهمية هذا البحث في مجال تاريخ علم الحديث وأصوله.

---

[٤] من أواخر الدراسات المعاصرة مثلاً، كتاب "الزنادقة والحديث النبوي: دراسة تاريخية"، ويتناول موضوع الزندقة من جهة وضع الحديث؛ ولكن لم يتناول علاقة الزندقة بالمحدثين وأثرها في علوم الحديث. ينظر: حكمت ياسين عناد الدليمي، **الزنادقة والحديث النبوي: دراسة تاريخية**، (رسالة ماجيستير في أصول الدين، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٩م).

[٥] ينظر: طلعت كوجيغيت، **الاختلافات بين المحدثين والمتكلمين**، Talat Kocyigit, *Hadiscilerle Kelamcilar Arasindaki Munakasalar*, (Ankara: Ankara Universty, 1969).

[٦] ينظر: النووي، يحيى بن شرف، **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٤٧؛ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، **شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)**، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٣٠٧، ٣٠٨؛ طاهر بن صالح الجزائري، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج٢، ص٦٦٤؛ أبو شُهبة محمد بن محمد، **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص٣٢٨.

ولا شكّ في أن لهذا البحث أهميّة في تثقيف الأمّة الإسلامية؛ فالمؤثرات الخارجية للزندقة ظلت قائمة في أنحاء العالم الإسلامي بأشكال وأسماء متنوّعة ومختلفة، ومنها ماليزيا التي تحتوي على عدّة أديان وثقافات، ورفعت شعار: "رحمة للعالمين".[٧] كما يعدّ هذا البحث إضافة علمية إلى منظور أسلمة المعرفة في الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، وبخاصة ما يُعرف بـ Relevantisation؛[٨] لأنّ الوقوف على المؤثّرات الخارجية التي تواجه الأمّة الإسلامية وتحليلها، يكتسب أهمية بالغة في هذا المنظور؛ عسى أن يكون هذا البحث بمثابة الجسر بين الماضي والحاضر.

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على دراسة مستقلّة تناولت موضوع البحث؛ ولكنَّ هناك عدداً من المصادر القديمة والدراسات المعاصرة لامست بعض الجوانب من هذا الموضوع. فإذا تصفّحنا كُتب القدامى وجدنا إشارات عن الزندقة في بعض المؤلَّفات، مثل كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية"[٩] للإمام أحمد بن حنبل؛ على الرغم من الاختلاف في نسبته إليه؛ حيث يعدّ هذا الكتاب من أهم المصادر في تعقّب الزندقة والزنادقة؛ لأنه يقف على أفكارها ومبادئها. أما كتاب "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"[١٠] لأبي حامد الغزالي، فيتناول اعتقادات الزنادقة؛ حيث أشار إلى الاختلافات التي وقعت بينهم، وبين أهل السنّة في القرون الخمسة الأولى الهجرية. بالنسبة لكتاب "الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة"[١١] لابن حجر الهيتمي، فيتوافر على معلومات مهمّة عن تهمة الزندقة وربطها بالرافضة.

---

[٧] ينظر: http://www.islam.gov.my/en/about-jakim/vision-mission-objectives-functions.

[٨] ينظر: http://www.iium.edu.my/media/23434/IIUM%20POLICY%20ON%20ISLAMISATION.pdf.

[٩] أحمد بن محمد بن حنبل، **الرد على الجهمية والزنادقة**، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (الرياض: دار الثبات، ط١، د. ت).

[١٠] محمد بن محمد الغزالي، **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، (بيروت: دار المنهاج، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

[١١] أحمد بن حجر الهيتمي، **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، تحقيق: أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، (د.م: مكتبة فياض، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

وعن الدراسات المعاصرة التي تناولت موضوع الزندقة واطّلع عليها الباحث؛ فهي على النحو الآتي:

كما هو معلوم، نشأت الاختلافات بين المحدّثين والزنادقة بسبب المسائل الاعتقادية؛ ولذلك نلفي من أهم الدراسات التي اطّلع الباحث عليها ولها قواسم مشتركة مع بحثه، كتاب **الاختلافات بين المحدثين والمتكلمين Hadiscilerle Kelamcilar Arasındaki Munakasalar**، لطلعت كوجيغيت.[١٢] يُعدُّ هذا الكتاب أول دراسة في تركيا في مجاله وفنّه، ويقارن بين المحدّثين والمتكلّمين في القرون الأولى الهجرية، وتتركز نظريته على جهد المحدّثين ومجادلتهم لحفظ الدين من التحريف والتغيير. كما تعتمد فكرة المؤلّف على أقوال بعض المتكلّمين، وبخاصة في الفصل الثالث؛ إذْ تناول الكتاب النقاشات التي وقعت بين الفريقين في المسائل الاعتقادية، مثل: صفات الله، والقدر، ورؤية الله، وخلق القرآن. ورأى أنّ المحدّثين نقدوا المتكلّمين واتّهموهم بالزندقة. ويتميّز هذا الكتاب بالمقارنة التي أجراها الكاتب على الرغم من انتمائه إلى المحدّثين، وقد توسَّل المؤلّف بالمنهجَ التاريخي لإظهار أصول التاريخ في تحليل الواقعات، كما استعان بالمنهج الجدلي رغبةً منه في إظهار جهد المحدّثين؛ حيث اعتمد على مصادر القدامى وبعض المعاصرين؛ ولكن لم يُشر إلى أية دراسة غربية.

ومن الدراسات الإسلامية عن الزندقة، كتاب **الزنادقة: عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم**، لسعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي،[١٣] ومؤلّف الكتاب أستاذ العقيدة في المملكة العربية السعودية. تناول الكاتب موضوع الزندقة بشكل موسّع، وتطرّق إلى تاريخ الزندقة وبخاصة في الإسلام، واهتمّ بأثر الزندقة في المذاهب الإسلامية، كما ركّزت نظريته المهمّة والدقيقة على الأثر السيئ للزنادقة في التاريخ الإسلامي، وأثرهم في التصوّف، ثم تحدث عن مظاهر الزندقة الحديثة في العلمانية والحداثة؛ حيث كشف عن ارتباط جذورهما بالزندقة. اعتمد المؤلّف على المصادر العربية والإسلامية القديمة؛ إذْ يظهر جليّاً توجّهه من خلال تنويهاته بمؤلّفات ابن تيمية رحمه الله. إذاً، هناك تشابه واضح بين هذا الكتاب وغيره

---

[12] Kocyigit, *Hadiscilerle Kelamcilar Arasindaki Munakasalar*.

[١٣] العريفي، سعد بن فلاح بن عبد العزيز، **الزنادقة: عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم**، (الرياض: دار التوحيد والنشر، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

من الدراسات في العالم الإسلامي من حيث الحديث عن أثر الزندقة في الفِرق الاعتقادية والمجتمعات المسلمة بعامة، وإغفال الحديث عن أثر الزندقة في علم الحديث أو المحدّثين بخاصة.

اطّلع الباحث على رسالة ماجيستير بعنوان: **الزنادقة والحديث النبوي: دراسة تاريخية**، لحكمت ياسين عناد الدليمي،[١٤] وهي تعدّ من أواخر الدراسات الحديثة في موضوع الزندقة في التاريخ الإسلامي، وربما تكون الأولى والوحيدة التي تناولت علاقة الزندقة بمسائل علم الحديث. وعلى الرغم من ذلك لم تتناول هذه الأطروحة موضوع الزندقة بتوسّع كافٍ؛ فهي تفتقر إلى التحليل بسبب توجهّها التاريخي، ولم تُشر إلى دور الزندقة في عملية الوضع أو غيرها من مسائل علم الحديث. والمؤلّف وإنْ هو ساق تعريفاً طويلاً لمسألة الوضع؛ فقد خصّص صفحة واحدة فقط لدور الزنادقة في وضع الحديث، وكذا حديثه عن الأثر السيئ للزندقة في العصر الحديث. لم يؤسّس الدليمي لفكرة الزندقة على أي منهج علمي، وفي رأيه فإن الزنديق هو من اعترض على الأحاديث وأصحاب النبي ﷺ. ومن هنا ظهر للباحث أن هذه الأطروحة العلمية للدليمي تتشابه مع دراسة العريفي السابقة في مدى تقاربها، فضلاً على اعتماد صاحبها على مصادر القدامى والمعاصرين من العالم العربي فقط.

ومن الرسائل التي أُلِّفت في مجال التفسير **تصوّر الزندقة والزنادقة في تفاسير أهل السنّة Ehl-i Sunnet Tefsir Geleneginde Zindiklik ve Zenadika Algisi**، ليوسف آغقوش.[١٥] تتساءل دراسة آغقوش عن الأسباب التي أدّت بالعلماء إلى استخدام لفظ "الزنديق" في النقاشات الاعتقادية كما جاءت في تفاسير أهل السنّة؛ وهو ما يجعلها تتميّز بأوّليتها في مجالها العلمي؛ فلا أحد من الباحثين سبق أن تناول الزندقة وعلاقتها بالتفسير والمفسّرين. اهتم المؤلّف، أيضًا، بتصوّر الزندقة لدى المفسرين، وأراد إثبات كيفية هذا الاتّهام، كما اجتهد في تحديد المنتسبين إلى الزندقة في التاريخ الإسلامي. إن ما يشترك فيه كتاب أغقوش مع الدراسات الأخرى التي تناولت موضوع الزندقة في الإسلام، هو مسألة تحديد

---

[١٤] الدليمي، حكمت ياسين عناد، **الزنادقة والحديث النبوي: دراسة تاريخية**، (رسالة ماجيستير في أصول الدين، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٩م).

[15] Yusuf Agkus, "Ehl-i Sunnet Tefsir Geleneginde Zindiklik ve Zenadika Algisi" (PhD diss., Cukurova University, 2019.)

فكرة الزندقة، نظراً لأن المؤلّف يعترف في الخاتمة بغموض هذا المصطلح؛ ولكنّه يرجّح كلمة "الهرطقة" في مقابله. وعليه يُفهم من خاتمة كتابه أن الزندقة هي أشبه بسلاح تستخدمه المذاهب للظهور بالانتماء إلى "الفرقة الناجية" بحجة معارضة الزنادقة. هذا ويدّعي المؤلّف أن علماء أهل السنّة شغلتهم الخصومات الشخصية، ومن ثم استخدموا مصطلح الزندقة استخداماً عاطفيّاً. لقد وجدنا أن هناك فرقاً نوعيّاً بين دراسة أغقوش وما سبقها من الدراسات السابقة، إضافة إلى أن الكاتب يستشهد بمصادر غربية وشرقية على سواء في دراسته.

ومن الدراسات المعاصرة حول مسألة الزندقة والإلحاد كتاب **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**، لعبد الرحمن بدوي.[١٦] يُدرِج بدوي الزندقة في الحركات الإلحادية، كما يتميّز هذا الكتاب باستشهاد مؤلِّفه بأقوال المستشرقين، وترجمته لبعض المقالات الغربية التي تناولت موضوع الزندقة في الإسلام. يتحدّث، أيضاً، عن سيّر الزنادقة المشهورين، مثل ابن المقفّع وابن الراوندي لكونهما من أهم الزنادقة. يوضّح بدوي الفَرق في فكرة الإلحاد بين الغرب والعرب؛ ففي الغرب يعكس الإلحاد فكرة موت الخالق التي قال بها نيتشيه (Nietzsche)، أما الإلحاد لدى العرب فمرتبط بموت النبوّة والأنبياء؛ ولذلك يعتمد المؤلّف في نظريته على علاقة الإلحاد بالنبوّة، مع التركيز على تناول فكرة الإلحاد والزندقة في إطار التاريخ والسياسة فقط؛ وهو ما يعني أن الباحث لم يطّلع في هذه الدراسة على أيّة إشارة متعلّقة بموضوع هذا البحث.

ومن أشهر الدراسات التاريخية وأهمها **الزنادقة والملحدون في مجتمع الدولة العثمانية Osmanli Toplumunda Zindiklar ve Mulhidler**، لأحمد ياشار أوجاق.[١٧] مؤلّفها هو علاّمة تركي مشهور بكثرة دراساته التاريخية، وكتابه هذا يعدّ من أهم مؤلّفاته؛ إلا إنه يقصر الزندقة على واقع مجتمع الدولة العثمانية، ومن ثم فإن موضوع الكتاب لا تربطه صلة وثيقة بموضوع هذا البحث؛ ولكن مقدمة الكتاب تحتوي على معلومات مفصّلة قيّمة في مسألة نشأة الزندقة ومكانتها في التاريخ الإسلامي. يتحدث المؤلّف عن مكانة الزنادقة في المجتمع الإسلامي، ويركّز على تأثير الزندقة في العلوم الإسلامية، ويتطرّق إلى موقف العلماء في

---

[١٦] عبد الرحمن بدوي، **تاريخ الإلحاد في الإسلام**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٠م).

[17] Ahmed Yasar Ocak, *Osmanli Toplumunda Zindiklar ve Mulhidler* (Istanbul: Tarih Vakfi, 2013).

مواجهة الزنادقة؛ ولكن يقصره على الفقهاء والمتكلّمين من دون المحدّثين. وقد يكون من ميزات هذا الكتاب وقوف المؤلّف على حديث للبخاري يحتوي على لفظ "الزنادقة"؛ فهو يرى أن استخدام هذا اللفظ في هذا الحديث يكاد يكون مستحيلاً، وحجته في ذلك أنه لا يمكن لأحد الحديث عن الزندقة في عهد الخلفاء الراشدين، ومن ثم هو يرى في هذه الرواية "مفارقة تاريخية". هذا الادّعاء دقيق وغاية في الأهمية؛ لأنه ينتقد البخاري، أو رواة هذه الرواية الصحيحة بسبب استخدام لفظ "الزنادقة". ومن أهمّ ما في هذا الكتاب، إجراء مقارنة بين الزندقة في العصرين الأموي والعباسي ودور الدولة العثمانية، وكذا ذكره لأوجه التشابه بين الزندقة والإلحاد. سلك المؤلف المنهج الاجتماعي بسبب تركيزه على أثر الزندقة في المجتمعات الإسلامية، وتصنيف المتّهمين بالزندقة مهنيّاً وسلوكيّاً. وتجدر الإشارة هنا إلى اطّلاع المؤلّف على مصادر عربية وغربية مهمّة للقدامى والمعاصرين، إضافة إلى اعتماده على الوثائق المخطوطة في المكتبات التركية.

من الكتب المتعلّقة ببحثنا كتاب **الزندقة والزنادقة: تاريخ وفكر**، لمحمد عبد الحميد الحمد.[١٨] في هذا الكتاب دفاعٌ عن الدين من التأثيرات السلبية التي أصابته؛ إذْ نلفي المؤلّف يصرّح عن انتمائه الفكري في بداية كتابه؛ فهو يرى أن التاريخ ظلم الزنادقة الذين كان مرادهم أن يتلمّسوا طرقاً جديدة في الفكر والحياة. وميزة هذا الكتاب أن صاحبه يستخدم كُتب المعارضين لأهل السنّة في القرون الخمسة الأولى الهجرية، مثل المعتزلة والشيعة. وقد تساءل المؤلّف عن جذور الزندقة ومكانتها في الإسلام، وتحدّث عن تأثير الزنادقة في المجتمع الإسلامي من العهد الراشدي إلى العهد العباسي؛ ولكنه لم يتناول تأثير الزنادقة في علم الحديث بخاصة. كما يحتوي الكتاب على معلومات مهمّة عن النَّظَّام كونه شخصية اعتزالية مهمّة، وأن أكثر المحدّثين اتّهموه بالزندقة؛ وهذا ما يُخالفهم فيه المؤلف. يعدُّ هذا الكتاب بالنسبة إلى الباحث مسألة جدليّة، وباباً مفتوحاً للانتقاد.

ومن أهمّ الدراسات في الغرب التي تناولت موضوع الزندقة في الإسلام كتاب **الزندقة في دار الإسلام في القرن الثاني للهجرة Islam'in Hicri Ikinci Asrinda Zindiklik ve**

[١٨] محمد عبد الحميد الحمد، **الزندقة والزنادقة: تاريخ وفكر**، (دمشق: دار الطليعة الجديدة، ط١، ١٩٩٩م).

Zindiklar، لملحم شكر.[١٩] يمكن أن يوصَف هذا الكتاب بأنه حصيلة الدراسات الغربية في مجالها؛ لأنها تنتقد الدراسات السابقة المنشورة، وتتميز باعتمادها على المصادر والمراجع المرتبطة بتهمة الزندقة في القرون الأولى الهجرية، مثل مؤلّفات الشيعة الإمامية وكُتب المعتزلة. ويبني المؤلّف نظريته على أن الزندقة ليست هي المعتقدات والطقوس نفسها في كل مجتمع؛ وإنما تختلف ميزاتها وفقاً لكل فرد ومجتمع وعصر؛ ولكن ما يجمعها هو ما تقترحه من أفكار متطرّفة في المسائل الدينية. وهذه الفكرة تخالف نظرية أحمد ياشار أوجاق في كتابه "الزنادقة والملحدون في مجتمع الدولة العثمانية". وفي هذا السياق يمكن القول إنّ الاختلافات في تعيين ماهية الزندقة على مدار التاريخ مهمّة بالنسبة إلى الباحثين المعاصرين؛ فتلك المسائل كانت موضوعات جدلية. ومن جهة أخرى، يتحدث المؤلّف عن تحريف الأحاديث على أيدي الزنادقة؛ ولكنه لم يتناول تعامل المحدّثين مع الزندقة وأثرها في علم الحديث، كونه يقتصر على تأطيرها في القرن الثاني الهجري فقط. ولا بُدَّ لنا ههنا من التنبيه إلى خطأ مهمّ في هذا الكتاب، وهو كثرة تعميمات المؤلّف في ثناياه، كقوله إن الزنادقة عند المحدّثين هم الرافضة والمتكلّمون فقط، من غير أن يؤسّس لهذا التعميم بأقوال المحدّثين، أو يفصِّل في الموضوع.

وهناك رسالة ماجستير في قسم تاريخ المذاهب الإسلامية بعنوان: **حركة الزندقة في العهد العباسي الأول Abbâsîlerin Ilk Doneminde Zindiklik Hareketleri**، لإسماعيل نومان أوغلي.[٢٠] تناولت الزنادقة في مواجهة العلم والثقافة، ومجادلة الدولة الإسلامية وعلمائها، وكشفت عن ثمانية متّهمين بالزندقة، وأكثرهم يختلفون مع المحدّثين. أما فكرتها الرئيسية أن تهمة الزندقة ليست موضوعية؛ فهي غالباً ما جاءت تهمة جاهزة من الخصم أو المعارض، إضافة إلى أن الزندقة ليست مذهباً مستقلّاً أو فرقة منظّمة؛ حيث نلفي في هذا الكتاب ما يدعم نظرية كتاب "الزندقة والزنادقة: تاريخ وفكر" لمحمد عبد الحميد الحمد. كما وقفت فكرة المؤلّف على مدى غموض تطوّر فكرة الزندقة عبر التاريخ، وهو ما يشترك فيه هذا الكتاب مع دراسة ملحم شكر؛ مع الإشارة إلى أن المؤلّف يستشهد بمصادر القدامى بعامة، ويتناول بعض الدراسات الغربية المعاصرة بخاصة.

---

[19] Melhem Chokr, *Islam'in Ikinci Asrinda Zindiklik ve Zindiklar* (Istanbul: Anka Yayinlari, 2002).

[20] Ismail Numanoglu, "Abbasilerin Ilk Doneminde Zindiklik Hareketleri" (Master diss., Selcuk University, 2002).